﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾

[البقرة: 156]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

اسْتِرْسالٌ في بَيانِ صِفاتِ الصّابِرينَ:

لَمّا ذَكَرَ في الآيَةِ السّابِقَةِ أَنْواعَ المَصائِبِ والابْتِلاءاتِ الَّتي تُصيبُ المُؤْمِنينَ، وخَتَمَها بالأَمْرِ بِتَبْشيرِ الصّابِرين؛ بيَّنَ في هذه الآية سُلُوكَ أُولَئِكَ الصّابِرينَ، وكَيْفَ يَسْتَقْبِلُونَ تِلْكَ الابْتِلاءاتِ والمَصائِبَ، فَهُوَ اسْتِرْسالٌ في بَيانِ صِفَتِهِمْ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

لفظ (مُصيبة) استُعمل في القُرآن في التّعبير عن الشّرّ الطّارئ

1) ﴿أَصَٰبَتۡهُم﴾: مِنَ الجَذْرِ (صوب)، والإصابة: النُّزولُ بالشّيء واللّحاقُ بِهِ، خَيرًا كان النّازلُ أو شَرًّا[1]، وأَصابَ السّهمُ: إذا وصلَ إلى المرْمَى، والمُصيبَةُ أصلُها في الرَّمْيَة، ثُمّ اخْتَصّتْ بالنّائِبَة، نَحوَ: ﴿فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ﴾ [النّساء: 62][2]، والمُصيبَةُ: ما أصابَ بِهِ الدَّهرُ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ﴾ [البقرة: 156]، و﴿مُّصِيبَةٞ﴾ لم تُسْتَعملْ في القرآن إلّا في التَّعبيرِ عمّا يَعُدُّهُ الإنسانُ شَرًّا[3].

من له الرّجوع فإليه المصير

2) ﴿رَٰجِعُونَ﴾: مِنَ الجَذْرِ (رجع)، وهو في الأَصْلِ يَدُلُّ عَلَى رَدٍّ وتَكْرَارٍ، تَقُولُ: رَجَعَ يَرْجِعُ رُجُوعًا، إِذَا عَادَ[4]، والرُّجُوعُ: العَوْدُ إلى ما كان مِنهُ البَدءُ، مَكانًا كان أو فِعْلًا، أو قَولًا، والرَّجْعَةُ في الطَّلاقِ، وفي العَودِ إلى الدّنيا بَعْدَ المَمَاتِ، ويُقال: فلانٌ يؤمن بِالرَّجْعَةِ[5].

(1) ابن منظور، لسان العرب: (صوب)
(2) الرّاغب، المفردات: (صوب).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (صوب-صيب).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رجع).
(5) الرّاغب، المفردات: (رجع).

❁ المَعْنَى الإجْمَاليُّ:

تـخـصـيـص المـؤمـنـين بالبشارة، رغم ما يمْتحنُهُمْ به منَ الشَّدَائد

يقول اللّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ عَلَى امْتَحَانِي بِمَا أَمْتَحِنُهُم بِهِ، والحَافِظِينَ أَنْفُسَهُم عَنِ الإقدام على نَهْيِي عَمَّا أَنْهَاهُم عَنْهُ، والآخِذِينَ أَنْفُسُهُم بِأَدَاءِ مَا أُكَلِّفُهُم من فَرَائِضِي مَعَ ابْتِلَائِي إِيَّاهُمْ، بِمَا ابْتَلَيْتُهُم بِهِ، القَائِلِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، فَأَمَرَهُ اللّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ بِأَن يَخُصَّ بِالبِشَارَةِ عَلَى مَا يَمْتَحِنُهُم بِهِ مِنَ الشَّدَائِدِ، أَهْلَ الصَّبْرِ الَّذِينَ وصَفَ اللّهُ صِفَتَهُمْ[1].

تـذكـير الـنّـفْـس بـأنّ كُـلّ شيْء سينْتهي ، وأنّ إلى الله الرُّجعى

وهَذِهِ العِبَارَةُ تَحْمِلُ من قُوَّةِ المَعْنَى مَا يَجْعَلُهَا في غَايَةِ الإيجَازِ؛ لأنّها أَوْجَزَت كُلَّ مَا يُعِينُ عَلَى الصَّبْرِ، فَكَوْنُ العَبْدِ مَمْلُوكًا لِلّهِ تعالى، يتبيّنُ أَنَّ المُلكَ الحَقِيقِيَّ لِلّهِ تعالى، فَنَحْنُ أَنْفُسُنَا مَمْلُوكُونَ لَهُ، فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ الأَسَى بَعْدَ ذَلِكَ.

ثُمَّ تَأْتِي العِبَارَةُ الثَّانِيَةُ: ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ بِصِيغَةِ التَّأْكِيدِ؛ لِتَذْكِيرِ النَّفْسِ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ سَيَنْتَهِي، ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى اللّهِ تعالى، وهَذِهِ العِبَارَةُ من أَبْلَغِ مَا يُعِينُ النَّفْسَ بَعْدَ الابْتِلَاءِ.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبلاغيُّ:

بلاغةُ استفتاحِ الآيةِ بوصْفِ الصَّابِرين:

الأوجهُ الإعرابيَّةُ تُعربُ عنِ الثَّناءِ والمَدْحِ

ابتدأتِ الآيةُ ببيانِ صفةِ الصَّابرين بالاسم الموصولِ؛ فالنَّفسُ تتطلَّعُ إلى معرفةِ صفاتِهم وأحوالِهم، فجاءَ البيانُ في صلةِ الموصولِ تفصيلًا، بما يُزيلُ الغموضَ والإبهامَ عنهم، وفيه من المَدْحِ والثَّناءِ عليهم بالدَّليل وهو قولُهم، والأوفقُ أنْ يكونَ الاسمُ الموصولُ نعتًا، ويصحُّ أن يكون منصوبًا على المدْحِ، وأن يكونَ خبرًا لمبتدأٍ محذوفٍ فيكون على القطع أوِ الاستئنافِ، وكلاهما فيه معنى الثَّناءِ عليهم،

(1) ابن جرير، جامع البيان: 3/221.

وخلاصةُ الأمرِ أنَّ هذه الأوجه تصُبُّ في مَيْدانِ القبولِ الدَّائرِ حولَ المَدْحِ والثَّناءِ[1].

فائدةُ الشَّرْطِ بـ (إذَا) دون (إنْ):

في قولِهِ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ آثَرَ ﴿إِذَآ﴾؛ لأنّها تُفيدُ القَطْعَ واليَقينَ، وأمَّا (إنْ) فإنَّهَا تُفيدُ الشَّكَّ وعَدَمَ اليَقينِ، وسرُّ ذلك أنَّ قولَ الصَّابرين المُبشَّرين: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ مقطوعٌ بِهِ عند وقوعِ المُصيبةِ؛ لذلك هم مُبشَّرون؛ لِذَا كَانَ لَا بُدَّ أَن يَكُونَ التَّعْبيرُ بِمَا يُفِيدُ ذَلِكَ القَطْعَ واليَقِينَ المُنَاسِبَ لِلْوَصْفِ، وهُوَ مَا تُؤَدِّيه إِذَا.

سرُّ التَّعبيرِ بلَفْظِ ﴿مُّصِيبَةٌ﴾ دون لَفْظِ (ابْتِلاء):

لَمَّا صُدِّرَت الآيَةُ السَّابِقَةُ بِالتَّأْكِيدِ عَلَى وُقُوعِ الابْتِلَاءِ، بقولِهِ ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾، كَانَ الظَّاهرُ أن يَقُولَ: (الَّذين إذا أَصَابَهُم بَلَاءٌ)؛ ولَكِنَّهُ عَدَلَ عَن ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ تَخْصِيصَ نَوْعِ الابْتِلَاءِ، وهُوَ الابْتِلَاءُ بِالشَّرِّ، وبِمَا يَسُوءُ الإِنْسَانَ، وهَذَا تَتَنَاوَلُهُ لَفْظَةُ ﴿مُّصِيبَةٌ﴾، والمُصِيبَةُ: النَّكْبَةُ يُنْكَبُهَا الإِنْسَانُ وإن صَغُرَتْ، وتُسْتَعْمَل في الشَّرِّ[2]، ولَم تُسْتَعْمَل في القُرْآنِ إِلَّا في التَّعْبِيرِ عَمَّا يَعُدُّهُ الإِنْسَانُ شرًّا[3]، أَمَّا (الابْتِلَاءُ) فَهُوَ يَشْمَلُ الابْتِلَاءَ بِالْخَيْرِ والشَّرِّ، مِصْدَاقًا لِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: 35]، فالآية تُبيّنُ أنّ هؤلاءِ الصَّابرين المُسْتَحِقّين للبشارةِ، هُمُ الّذينَ يَقولُون: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ عِنْدَ وُقُوعِ المُصِيبَةِ ومَا يَسُوؤُهُم مِمَّا يَكْرَهُونَ، وهَذَا أَثْقَلُ عَلَى النَّفْسِ.

البَلاءُ بالشّرّ والخَيْرِ فِتْنَةٌ للمُؤمِن، والمُصيبةُ خاصَّةٌ في الشَّرِّ

الجمالُ الصَّوْتِيُّ في قولِهِ: ﴿أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾:

إِنَّ اسْتِعْمَالَ الأَلْفَاظِ مِنَ الجَذْرِ (صوب)، لِلتَّعْبِيرِ عَن وُقُوعِ

بَيانُ فَضِيلَةِ الصّابِرينَ بِأَلْفَاظٍ مُوحِيَةٍ بِالْقُوَّةِ، وبِصوتٍ مُفْصِحٍ

(1) السّمين، الدّرّ المصون: 2/186

(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 2/175.

(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (صوب-صيب).

الابْتِلَاءِ، يُلَاحَظُ فِيهِ قُوَّةُ الصَّوْتِ؛ حَيْثُ إِنَّ صَوْتَ الصَّادِ مِن أَصْوَاتِ الصَّفِيرِ والاسْتِعْلَاءِ، وهُمَا مِن صِفَاتِ القُوَّةِ، واسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ مُكَرَّرًا بِصِيغَةِ الفِعْلِ مَرَّةً، والاسْمِ مَرَّةً، مِمَّا يَزِيدُ أَثَرَ هَذَا الصَّوْتِ، فَكَانَ مُمْكِنًا أَن يَقُولَ: (الَّذِينَ إِذَا ابْتَلينَاهُم بِشَيْءٍ) أَو غيرَها؛ ولَكِنَّهُ أَرَادَ أَن يُبَيِّنَ فَضِيلَةَ الصّابِرِينَ بِأَلْفَاظٍ مُوحِيَةٍ بِالْقُوَّةِ؛ لِيَتَّصِفَ مَا يَحِيقُ بِهِم بِالشِّدَّةِ، فَيَظْهَرُ فَضْلُهُمْ، وهَذِهِ القُوَّةُ في الصَّوْتِ، من أسبابِ تَخْصِيصِ المُصِيبَةِ بِالتَّعْبِيرِ عَن الشَّرِّ، وما أجمَلَ ائتلاف الدّلالة بالصَّوتِ، وفيه مَا يُسَمَّى بِالْجِنَاسِ الاشْتِقَاقِيِّ.

دلالةُ التَّنْكِيرِ في لفظِ: ﴿مُّصِيبَةٌ﴾:

آثرَ النَّظمُ التَّنْكِيرَ؛ لِأَنَّهُ يُفِيدُ العمومَ والشُّمُولَ، فَهُم يَقُولُونَ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾، مَعَ كُلِّ أَنْوَاعِ المَصَائِبِ، وفي كلِّ أوقاتِها، كَمَا يُفِيدُ التَّنكيرُ تعْظِيمَ المُصيبةِ في النَّفسِ، إذِ التَّنكيرُ بريدُ الإبهامِ، فيصدُقُ على كلِّ مصيبةٍ يستعظِمُها الإنسَانُ.

فائِدَةُ العَطْفِ والتَّقديمِ في قوله: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ جُمْلتان مَعْطوفَتانِ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ و﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾؛ لاتِّحَادِهِمَا في الخَبَرِيَّةِ، فَهُما جُمْلَتَانِ خَبَرِيَّتَانِ مُؤَكَّدَتَانِ، كلٌّ منهما تُؤدّي معنًى مُستقلًّا مُرادًا، فَلَو لَم يَعْطِف، وقَالَ: (إِنَّا لِلَّهِ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)، لَكَانَت الثَّانِيَةُ بَيَانًا لِلْأُولَى، بَدَلًا عَنْهَا، وتَفْسِيرًا لَهَا، فَهِيَ لا تُؤدّي معنًى ثانيًا مُسْتَقِلًّا، وهذا لَيْسَ المُرادَ، إذِ المرادُ بَيَانُ الاخْتِصَاصِ والتَّأْكِيدِ؛ فَالرُّجُوعُ لَن يَكُونَ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى، مَعَ إِفَادَةِ تَقْوِيَةِ الْعَوْدَةِ، وبَيَانِ أَنَّهُم مُوقِنُونَ بِذَلِكَ[1]، "وَأَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى رَبِّهِ، لَا إِلَى غَيْرِهِ، إِشَارَةً إِلَى الحَصْرِ المُسْتَفَادِ مِن تَقْدِيمِ الجَارِّ"[2]؛ فهذا من باب تقديم الدَّعوى على الدَّليلِ، معَ ما فيه مِنْ حُسْنِ الفاصِلَةِ.

إثباتُ المِلكِ مقدَّمٌ على إثباتِ الرُّجوعِ، كتقديمِ الدَّعوى على دليلِها

(1) الرّوينيّ، من غريب بلاغة القرآن الكريم، ص: 480.
(2) القُونَوِيّ، حاشيةٌ على البيضاويّ: 4/377.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»